مقدمة

إذا كان ثمة كتاب تحب أن تقرأه، لكنه لم يكن قد كُتِبَ بعد، فعليك أن تقوم أنت بكتابته.

توني موريسون

إذا كانت عبارة "العولمة" هي ما شغل العالم في عقد التسعينيات من القرن العشرين، فإن العبارة التي تشغله في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هي "الشرق الأوسط"؛ وهي منطقة يرتبط اسمها عادة بقدر لا بأس به من أعمال العنف والاضطراب منذ أن حصلت بلدانه على استقلالها. انتقلت محاولة التعرف إلى هذه المنطقة وإجراء الأبحاث حولها مؤخراً من مجال التركيز على الجانب السياسي والتاريخي، إلى التركيز على حقل وسائل الإعلام والثقافة الشعبية. أضحى هذا التحول ممكناً بفضل زيادة معدل الاتصالات التي يعود الفضل فيها إلى العولمة والقفزات الهائلة في حقل التقانة التي سهّلتْ وسرّعتْ عملية الوصول إلى المعلومات والأخبار التي تخص هذه المنطقة. ساعد بروز منافذ جديدة لوسائل الإعلام العربية، التي أدت إلى حضور عربي في المشهد العالمي لوسائل الاتصال، على دفع

obeikandl.com

عمليــة التحول وتطويرها. انتقلت آخر صــيغ الأبحــاث إلى ما هو أبعد من نظرية صراع الحضارات، وتجاوزتها إلى منطقة "صراع الأصوات" بحيث دخل الصــوت العربي ضمن بوتقة المقارنة مع الأصوات الغربية؛ جاعلاً ما يعرض على الشاشات العربية مقابل ما يعرض على الشاشات الغربية نقطة الارتكاز الأساسية للأبحاث في مجال وسائل الإعلام.

لا تــزال معرفتنــا بهذا الحقل بشــكل خاص محــدودة في كثير من الجوانب بالرغم من الكم الكبير من المنشــورات الصادرة حول وسائل الإعلام العربية؛ وهناك الكثير من الأسئلة حول هذا الموضوع لم تجد لها جواباً؛ وهي مع الأسف، لم تطرح على بساط البحث حتى الآن. وفوق هذا وذاك، تم ركن قضــية الصحافة العربية جانباً في الدراسات والأبحاث الغربيــة التــي تميل نحــو التركيز علــى قضــايا التمثيل والدبلوماســية العامة أو سياســات وســائل الإعلام. ينحو هذا الكتاب بعيداً عن وجهة النظــر التي تبنتها المقولات الحالية، ويقــدم بدلاً من ذلك رؤية جديدة لدراســة وسائل الإعلام العربية متقصــياً بذلك الطريق التي لم تُسلَك بعد في الدراســات والأبحاث المعاصــرة. يركز هذا الكتاب بشكل خاص علــى الصــحافة العربية وهو موضــوع بحث تم تجاهلــه إلى حد ما، في الدراسات والأبحاث الغربية.

يهــدف هذا الكتاب بشــكل رئيــس إلى تحقيق غرضــين اثنين: هما الاســتفزاز والتحفيــز. فانا أهــدف إلى تحــدي الدراســات والأبحاث الغربية المتمحورة حول وســائل الإعلام العربية، وبذلك أتطلع للإشارة إلى نقاط ضــعف مثل هذه الدراســات وانحرافها عــن جوهر النظرية

النقديــة. كمــا أهدف إلى اســتخدام هذا الاســتفزاز لتحفيز الباحثين والمهتمين من أجل القيام بتقصــي اتجاهات بحثيــة جديدة، وذلك من خلال ســلك الطريق التي هجرتها الدراسات والأبحاث الغربية الحالية حول وسائل الإعلام العربية.

الصحافة والنظرية النقدية

كانت الأبحاث في مجاليْ الصــحافة ووسائل الاتصال الجماهيرية مركــز اهتمام بالنســبة إلى النظرية الاجتماعية لعقــود خلت. تلخص زيليزيــر[1] هــذه التوجهــات في الأطروحات السوســيولوجية للصــحافة منتقلــة مــن البحــث الإداري والســلوكي إلى البحث النقــدي الذي قام بتطويــره البحاثــة الأوروبيون. وتقســم هذه التوجهــات في الأطروحات السوسيولوجية إلى مراحل ثلاث:

1- نَحَــت المرحلة الأولى للأطروحة السوســيولوجية باتجاه التركيز على تواصــل الصــحفيين مع بعضــهم بعضــاً، وهي بذلــك تَعُدُّ الصــحافة "جملــة من الممارســات التي يقوم بهــا أولئك الذين يمتلكون السلطة لفرض هذه التجربة على الآخرين"[2].

2- اهتمــت المرحلة الثانية بإبــراز التأثير الذي أحدثته الضــوابط التنظيمية على ممارسات الصحفيين وتوجهاتهم[3].

3- ركــزت المرحلــة الثالثة علــى أيديولوجية الهيمنة التي فرضــتها هــذه الممارســات والتوجهات؛ بحيــث إن المخرجات الصــحفية كانت دليلاً على الســلطة التي انعكست على المجتمع، والتي أدت

obeikandl.com

بالباحثين إلى القيام بعملية تقويم لقضايا التمثيل وطرائق الوصول إلى وسائل الإعلام في تحليلاتهم.

أشارت زيليزير أيضاً إلى توجه رابع، ألا وهو مقاربة الاقتصاد السياسي. يتم التركيز هنا على المعضلة التي يعانيها الصحفيون الذين يجدون أنفسهم بين مطرقة السلطات السياسية من جهة، وسندان السلطة الاقتصادية – أي الكم المختلط من الأخبار – من جهة أخرى.[4] وبالرغم من أن هذه المقاربة وفّرت رؤى جديدة من خلال ربط تأثير السلطة السياسية بسلطة اقتصاد السوق، فإنها لم توضح الرابط بين "ممارسات الصحافة اليومية والاقتصاد السياسي الأوسع للمجتمع"[5].

عموماً، يمكن القول إن النظرية الاجتماعية ساعدت على إضافة موضوع الصحافة إلى الأجندة البحثية من خلال اعتبارها حقلاً اجتماعياً مستقلاً يتصرف ضمنه الصحفيون ضمن الضوابط البنيوية "داخل المشهد الإخباري ووراءه"[6]. هنا بالضبط، يمكن للنظرية الميدانية التي طرحها بوردو أن توفر إطاراً جديداً يتم بموجبه تحليل الصحافة العربية باعتبارها حقلاً اجتماعياً. وبالرغم من أن برنامج On Television، وهو العمل الوحيد الذي تناول فيه بوردو الصحافة بصفتها حقلاً مستقلاً، لم يقدم مخططاً دقيقاً لهذه الغاية، فإن مساعديه من الباحثين ارتأوا أن أعمال بوردو الأولى حول إعادة الإنتاج الثقافي ومنطق الممارسة ساهمت في وضع الخطوط العريضة لمثل هذا الإطار. يعتمد هذا الكتاب على النظرية الميدانية بالدرجة

نفسها التي يركز فيها على الصراع على السلطة الذي يطبع المشهد الإعلامي العربي في الوقت الحاضر، كما يسلط الضوء على التفاعل بين الصحفيين (أي المؤسسة) والبنية (أي المصادر)، وهو ما تم تجاهله في اعتقادي في الدراسات والأبحاث الغربية حول وسائل الإعلام العربية. كما يقوم بتسليط الضوء على توزع السلطات بين العاملين في حقل الصحافة، ويظهر كيف يحاول هؤلاء باستمرار إعادة تنظيم مواقعهم في هذا الحقل على الصعيدين الإقليمي والعالمي. وهذا لا يعني بأي حال القول إن هذه النظرية، أو أي نظرية تم تطويرها من خلال المنظور الغربي، يمكن تطبيقها من دون أي شروط، على السياق العربي؛ على العكس من ذلك، يجب أن توضع النظريات الغربية على المحك وتحت التجربة لتبيان مدى قابليتها للتطبيق "ضمن تجارب بلدان تقع خارج المدار الأنجلو-أمريكي"[7].

الصحافة بصفتها حقلاً اجتماعياً

توفر النظرية الميدانية إطاراً مفيداً لتحليل الاختلاف الذي يُعَدُّ مسألة حاسمة في الأجندة البحثية الحداثوية الأخيرة، حيث تُعَدُّ تجزئة "فضاءات الفعل (أي حقول السياسة، والاقتصاد والدين والإنتاج الثقافي) القاعدة وليست الاستثناء[8]. تتجلى فوائد النظرية الميدانية التي صاغها تلامذة بوردو من الباحثين في أنها تثمّن عالياً دور المؤسسة النشطة، وليس دور السذّج السلبيين؛ وهي بذلك تتميز عن النظريات السابقة مثل نظرية الهيمنة التي تنتهي عادة إلى نتائج وظيفية. تبحث النظرية الميدانية بشكل خاص في مسألة أن المؤسسة لا تقوم بشكل

آلي "بتعزيز سلطة الواقع الراهن، لكنها يمكن في ظل بعض الشروط أن تغير علاقات السلطة في الحقول الأخرى"[9]. الأهم من هذا وذاك، أن بوردو يَعُدُّ الصحافة حقلاً يؤثر في الحقول المجتمعية الأخرى ويتأثر بها؛ وهكذا، "فإن جميع حقول الإنتاج الثقافي اليوم عرضة لضغط بنيوي مصدره الحقل الصحفي (بشكل عام) وغير نابعة من أي صحفي بمفرده أو من مدير تنفيذي لإحدى الشبكات التي تكون بدورها عرضة لمثل هذا الاستحواذ من قبل هذا الحقل"[10].

ربما كانت أهم مزية تتمتع بها النظرية الميدانية، التي تتناولها هذه الدراسة بشكل مباشر تكمن في أنها تسمح بإمكانية إجراء مقاربة مقارنة[11]. من الواضح أن دراسة حقل الصحافة العربية هي مهمة لذاتها وفي حد ذاتها؛ إلا أن مقارنتها بالحقول الخارجية الأخرى كحقل الصحافة الأمريكية، سوف تثبت أنها تجربة بحثية قيّمة، إذا كان الهدف منها مماحكة النظريات (الغربية) الحالية أو إثبات عدم مواءمتها في السياقات غير الغربية. يقدم رودني بنسون[12] مثالاً حول مثل هذا التحليل المقارن؛ فهو يشير بحق إلى مسألة أن إبراز الاختلافات على الأصعدة القومية لا يرتبط بالضرورة بالتقاليد الثقافية المختلفة؛ بل ربما (وهذا هو الأهم) يرتبط بموقع الصحافة التي تحتل موقعاً اجتماعياً إزاء حقول أخرى على الصعيد القومي، وإزاء الحقل العالمي للصحافة.

فوق هذا وذاك، يمكن للنظرية الميدانية أن تساهم في واقع الأمر بتقديم إطار تحليلي للتغيرات التاريخية في المشهد الإعلامي. شهد العقد الماضي على سبيل المثال، تطوراً هائلاً في المشهد الإعلامي

العربي؛ ومع ذلك، لم تصدر أي تفسيرات رفيعة المستوى تبرر حدوث مثل هذه التغيرات. يُعَدُّ دور الصحفيين حاسماً في هذا السياق في عملية تغيير طبيعة الأخبار وممارساتها. بعبارة أخرى، نحن في حاجة إلى استقصاء الآليات التي هزت بنية هذا الحقل من الداخل، وفرضت عليه التأقلم بشكل ترادفي مع التغيرات السياسية والثقافية الأخرى في الحقل العام للسلطة.

النظريات الغربية وإسقاطاتها على الممارسات غير الغربية

كما سأبين في الفصل السابع من هذا الكتاب، فإن النظريات الغربية التي تم تطويرها كي تواكب التغيرات الحاصلة في المجتمعات الغربية لا يمكن أن توضع موضع التطبيق من دون أي مناقشة في معرض تحليلها للمجتمعات غير الغربية؛ وهذه نقطة أثارها العديد من الباحثين العرب. وبالرغم من أن النقاط التالية التي سوف أقوم بعرضها تستند إلى الرؤى التي طرحها بوردو، فإنني على دراية تامة بنقاط ضعف هذه الرؤى وعدم قابلية تطبيق آرائه على السياق العربي بشكل عام. على العكس من ذلك، أرى أن النظرية الميدانية يمكن أن تكون الكتلة البنيوية الأولى في الخطة البحثية البعيدة المدى، التي يمكن أن تساعد على تشذيب الخطوط النظرية المتعرجة من أجل أن تطابق الشروط التي تُعَدُّ استثنائية في وسائل الإعلام العربية.

هناك على سبيل المثال، لا الحصر، العديد من النقاط التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند تطبيق النظرية الميدانية على حقل الصحافة

العربية. أولاً، من الصعوبة بمكان مطابقة نظرية التماثل التي يطرحها بوردو بين المنتجين والمستهلكين، وهو "ما يعني ببساطة أنها تشكل فضاءات اجتماعية مميزة لكنها متوازية، ويتم تنظيمها حول تقسيمات رؤوس الأموال الثقافية والاقتصادية الأساسية نفسها"[13]. يشير هذا الرأي إلى تشابه في مسألة توزيع رأس المال الثقافي بين المنتج والمستهلك. ومع ذلك، وبالرغم من أن الجمهور العربي يعاني نقصاً في رأسماله الثقافي أو مهاراته اللغوية أو تحصيله العلمي، على سبيل المثال، فإن هذا الجمهور يتابع الأخبار، والبرامج المتعلقة بالشؤون المعاصرة التي تستخدم فيها اللغة العربية الفصحى بشكل رئيس. وهكذا، فقد أظهرت دراسة أجريت مؤخراً أن المشاهدين من ذوي التحصيل العلمي المتدني، ومن ذوي الدخل المحدود يميلون إلى مشاهدة قنوات فضائية مثل الجزيرة أكثر من أولئك الذين يتمتعون بسوية تعليمية أعلى، وكذلك من ذوي الدخل المرتفع[14] بالرغم من حقيقة أن محطة الجزيرة ووسائل الإعلام الإخبارية العربية الأخرى تميل إلى التركيز على قضايا سياسية معقدة تبث بأسلوب رفيع المستوى (انظروا الفصلين الثالث والرابع). يفرض هذا الأمر في الحقيقة تحدياً لنظرية التماثل يتجلى في وجود تناقض بين توزيع رأس المال الثقافي، أي التعليم والمهارات اللغوية من جهة، وبين رأس المال الاقتصادي من جهة أخرى.

يمكن في واقع الأمر التمييز بين الممارسات الصحفية العربية وبين الثقافة الصحفية الأنجلو- أمريكية التي تعتمد بشكل رئيس على اللغة المبسطة. إن النمط المتبع في الأخبار العربية هو النمط الإعلامي

الوحيد الذي يعتمد على نموذج اللغة العربية المكتوبة، أو اللغة العربية الفصحى. ونظراً لأن التمكن من هذه اللغة يتطلب سنوات عديدة من تعلمها في المدارس، فإنها تشكل جزءاً كبيراً لا غنى عنه من رأس المال الثقافي للصحفي. مع ذلك، ومع تزايد أعداد الداخلين إلى هذا السلك المهني، بالإضافة إلى تراجع في وجود اللغة العربية الفصحى في المناهج الوطنية الدراسية للأجيال الشابة، فإن من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى حدوث تغيرات هائلة في الممارسات الصحفية العربية.

ثانياً، يبدو أن بوردو يبالغ في التركيز على قوة الحقل الاقتصادي. على سبيل المثال، التغيرات التي حصلت في المشهد الإعلامي الفرنسي الذي يأخذه بوردو كنموذج لدراسته، يمكن أن ترد ليس إلى العقلية التجارية بحد ذاتها، ولكن إلى مفهوم المركزية التي تطبع وسائل الإعلام الفرنسية، والتي تسمح لقناة واحدة (القناة الفرنسية 1) بأن تحتفظ بحصة كبيرة من المشاهدين بعد أن تمت خصخصتها[15]. من ناحية أخرى، تتسم وسائل الإعلام العربية كما سنبين بالتفصيل في الفصول التالية من هذا الكتاب، باللامركزية والعقلية التجارية: ومن ثَمَّ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما العوامل التي تحدد نسبة توزيع حصص المشاهدين بين القنوات المختلفة؟ هل تتنافس هذه القنوات فيما بينها لتقديم محتوى شعبوي يجذب نسبة كبيرة من المشاهدين، أم أنها تركز فقط على عناصر ثقافية معينة لا تترجم بالضرورة إلى أرباح اقتصادية؟ فوق هذا وذاك، فبينما تتركز قنوات وسائل الإعلام الإخبارية الوطنية استناداً إلى أسس المواقع الجغرافية

obeikandi.com

(تكون عادة في العواصم أو المدن الكبرى) أو الملكية الشخصية، فإن ما يسمى وسائل الإعلام الإخبارية القومية تتوزع في المنطقة نفسها، وفي أنحاء متفرقة من أوروبا، وعلى الأخص في مدينة لندن. ومن ثَمَّ، كيف يمكن للامركزية أن تؤثر في الثقافة الصحفية في كل واحدة من هذه البلدان، وكيف يمكن لانتقال الصحفيين من الفضاء الوطني إلى الفضاء القومي أن يقوّي الممارسات المتبعة حالياً أو يضعفها؟

ثالثاً، كما بينت نينا إيلياسوف[16]، فإن عملية تحليل دور منتجي وسائل الإعلام يجب ألا تكون بديلاً عن تحليل دور السواد الأعظم من الناس. فهي تتساءل فيما إذا كانت النظرية الميدانية التي تهتم بدراسة المؤسسات تستطيع أن تقدم إطاراً مناسباً للقيام بدراسة للجمهور الذي "لا يطلق عليه عادة اسم (المؤسسة)". كما أنها محقة في السؤال الذي تطرحه وهو: هل يجب أن يكون الصراع دائماً حول "السلطة وهيئاتها" أم حول "تقديم رؤية أخلاقية للعالم"؟[17] في ضوء ملاحظات إيلياسوف، من المهم أن يطرح سؤال حول ما إذا كان على وسائل الإعلام العربية تعزيز رؤية أخلاقية محددة للعالم أو تجاهلها بالكامل.

رابعاً، لو سلمنا جدلاً بأن الهدف النهائي للنظرية الاجتماعية يتجلى في تبيان الكيفية التي يمكن من خلالها "تحرير" الصحافة من قيود السياسة أو الاقتصاد[18]، فكيف يمكن للصحفيين العرب الذين يتميزون برأسمالهم الثقافي تجنب احتمال عزل أنفسهم في عالم يتصف بالمركزية الشديدة؟ ألا يمكن أن يكونوا ببساطة متناهية يمثلون

سـلطة مهيمنة مفروضة على السواد الأعظم من الناس الذين يتمتعون بامتيازات أقل شـأناً، بدلاً من أن يمثلوا سـلطة تساعد السواد الأعظم مـن الناس علـى الانخـراط في مناظرات ونقاشـات مشـتركة (انظر الفصلين الثالث والرابع)؟

دفعت أحداثٌ مثل هجمات الحادي عشـر من أيلول أو السـابع من تموز الصـحافة العربيـة إلى مقدمة اهتمامات الخطـط البحثية التي تتقصـى دور وسائل الإعلام في تهييج الرأي العام أو تهدئة ثورة غضبه التـي قد تؤدي إلى قلاقل مدنية. ومـع ذلك، يبدو أن المحاولات الحالية لدراسـة دور وسـائل الإعـلام العربية تميـل نحو التركيز على قضـايا التمثيل بدلاً من التركيز على الدور المتميز للصحفيين العرب من خلال اسـتيعابهم للدور المنـاط بهم تجاه جماهيرهم، وكيـف يمكن لمثل هذا الاستيعاب أن يعزز أو يضعف تأثير وسائل الإعلام في مسألة نشر ثقافة التنوع، ومن ثَمَّ نشر ثقافة التسامح تجاه الآخرين.

أخيراً، يمكن القول إن النظرية الميدانية على ما يبدو، تفضل الإنتاج على الاستهلاك من خلال تركيزها على دور المنتجين/الصحفيين بدلاً مـن تركيزها على المسـتهلكين/الجمهور[19]؛ أما المصـيدة التي يجب أن يتم تجنب الوقوع فيها في الأبحاث المسـتقبلية فتتجلى في الربط المحكم بـين الحقـول الميدانيـة المتمثلة في الجمهـور العربي، وتلـك التي تربط الصـحفيين إلى بعضـهم بعضـاً. إن مثل هذه الحقـول الميدانية يمكن لها في واقع الأمر أن تسـاعد على تطوير أكبر للملاحظات الآنفة الذكر وجعلها أكثر قبولاً.

الطريق التي لم تسلك

يتناول هذا الكتاب أسئلة لم يحاول أحد بعد، الإجابة عنها، أو أسئلة لم يتطرق إليها أحد من قبل. بعض هذه الأسئلة على سبيل المثال هي: ما أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافة العربية والميادين الصحفية في البلدان الأخرى؟ كيف يتم توزيع السلطات داخل الميدان الصحفي العربي؟ متى بدأ طرح تدريس برامج الإعلام في الجامعات العربية، وما سمات تلك البرامج؟ وبما أن الصحافة العربية تشكل حقلاً واسعاً، فسأقتصر في مناقشتي هذه على الصحافة العربية ذات البعد القومي؛ بالرغم من أنني سأطرح بعض الأمثلة المقارنة بين وسائل الإعلام العربية على المستويين القومي والوطني بغية إلقاء الضوء على الشروخ التي تفصل بينها واعتمادها على بعضها بعضاً.

يبدأ هذا الكتاب بطرح نقاش حول تأثير العولمة في وسائل الإعلام العربية؛ وهو نقاش يهيئ أرضية للنقاش الذي سيطرح في الفصول التالية. تتمثل المسألة المطروحة في هذا السياق في الرأي الذي يركز على التناقض الظاهر في المشهد الإعلامي العربي مثل وجود برامج محافظة في قنوات دينية مقابل برامج تظهر فيها نساء يرتدين ملابس غير محتشمة في القنوات الترفيهية، ووجود قنوات إخبارية تركز على قضايا سياسية إقليمية وعالمية مقابل أنماط إعلامية كتلفزيون الواقع الذي غزا العديد من القنوات الفضائية العربية. وكما سأطرح في الفصل الأول من هذا الكتاب، يبدو لي أن مبرر وجود مثل هذا التناقض يستند إلى المنطق الذي يرى أن التنوع قد تم طرحه كأداة أساسية لمشروعات

التنمية، حيث يعد المثقفون العرب التجسيدَ المثالي لهذا التنوع. سوف أناقش أيضاً الوسائل التي يمكن بواسطتها استخدام وسائل الإعلام كجسر يربط بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، واعتبارها مصدراً جديداً للغالبية العظمى من الناس في صراعهم من أجل إعادة توزيع السلطة في المشهد الاجتماعي العام.

النقطة المحورية في هذا الكتاب هي الممارسات الصحفية العربية وكيفية تأثيرها في الصراعات الداخلية بين الإعلاميين في المحطات العربية الوطنية والقومية، والتأثر بها. يضع الفصل الثاني من هذا الكتاب إطاراً نظرياً لتحليل الصحافة العربية القومية مستنداً إلى النظرية الميدانية التي أتى بها بوردو، كما يتناول الصراع من أجل السيطرة على المشهد الإعلامي العربي. إنه صراع بين المحطات الإخبارية العربية حول أهمية واضعي الأجندات، وهو أيضاً صراع بين القطاع الإخباري وبين القطاع الترفيهي، حيث يحاول الأول تعزيز الهوية القومية العربية، بينما يتجه الثاني نحو التنوع والشمولية.

تركز هذه المناقشة على الوسائل التي يجمع من خلالها الصحفيون (أي الممثلون) رأس المال الثقافي لمهنتهم، وكيف يتم توجيه رأس المال هذا نحو ميادين أخرى، كميدان السياسة، على سبيل المثال. أستأنف طرح هذا النقاش في الفصلين الخامس والسادس من خلال التركيز على الصحافة بصفتها حقلاً عالمياً، وعلى موقع الصحفيين العرب (كما يرونه من وجهة نظرهم على الأقل) بالمقارنة بنظرائهم الغربيين. تتمثل النقطة المركزية في هذه المناقشة في موضوع الهوية، وكيف تم

تجاوزهـا في الأعمـال الأخيرة التي تم بثها على الفضـاء العالمي العام. ما أعنيه بعبارة الهوية هو الهوية المهنية للصحفيين في الشرق والغرب، وعلاقـة تلك الهوية بمسـألة توزيع السـلطات أو رأس المـال بين هؤلاء. سـيتم دعم هذه المناقشـة بدراسـة ميدانية نوعية تتجسـد في نصوص إخبارية مسـتلة من صـحف عربية قومية. سـأبين، بشكل أكثر تحديداً كيـف أن الصـحفيين الغربيين شـكلوا نموذجاً بصـفتهم شـهود عيان يتمتعون بقدر كبير من المصداقية، والذين أثارت شهاداتهم الكثير من الاحترام في الصـحف العربية القومية. كما سألقي الضوء على الحدود التي تفصـل بـين الصـحفيين العرب وبـين الغربيين، وكيـف أن بعض الصحفيين الغربيين يميلون إلى وضع وسائلهم الإعلامية في موقع المثل الذي يجب أن يحتذى من قبل المحطات الإعلامية العربية، بالرغم من إقرار هؤلاء بوجود مجموعة مهنية افتراضـية تشمل جميع الصحفيين في العالم أجمع.

تلقي الدراسـات والأبحـاث الحديثة حول وسـائل الإعلام العربية الضـوء علـى دور وسـائل الإعـلام هذه في خلـق بيئة صـحية تتم فيها المناظـرات والنقاشـات العلنية التي تلعب دورها في تشـكيل ما يسـمى الفضـاء العربـي العام. سـوف أناقش خطـوط هذا الفضـاء العام في الفصـلين الثالـث والرابـع مـن خلال إلقـاء الضـوء على الشـروط أو المؤسسـات التي لا غنى عنها لتأسيس أرضـية صلبة لثقافة المناظرات، بالإضافة إلى المؤشرات التي تدل على مثل هذه المناظرات. يركز الفصل الرابـع على محتوى المـادة الإخبارية والمناظرات؛ كما يوضـح كيف أن

الفروق الحادة بين الفضاءات العامة والخاصة نتجت عنها هوة بين وسائل الإعلام الإخبارية العربية القومية من جهة، وبين وسائل الإعلام الوطنية والمحلية من جهة أخرى؛ حيث إن الأولى تركز على القضايا النظرية والعامة، بينما تركز الثانية على كل ما هو ملموس ومحلي. النقطة التي أثيرها هنا هي أن التنظير لمسألة الفضاء العام يبدو وكأنه يتجاوز تنظيراً أكثر إثارة للاهتمام لما يشكل "الفضاء الخاص". كما أطرح فكرة أن الفضاء الخاص يمكن أن يتناول مستويات مختلفة، وهذا يعتمد على كيفية فهمنا لما هو "محلي وحميمي".

يقدم الفصل السابع نقاشاً لا غنى عنه حول دور الدارسين والباحثين في مجال وسائل الإعلام العربية كمعلمين وباحثين. أعرض بداية، للمشكلات في الوسط التعليمي والبحثي في الجامعات العربية، أقوم بعدها بعرض مناقشة مبتكرة وغير مسبوقة للجذور المعرفية للدراسات في مجال وسائل الإعلام العربية، أي اعتمادها الواضح على المنهجيات الكمية. أما القسم الثاني من هذا الفصل، فإنه يعرض لدور الأبحاث الغربية في مجال وسائل الإعلام العربية، كما يستقصي فرضية تقديم مثل هذه الأبحاث مساهمات قيمة في حقل دراسات وسائل الإعلام بشكل عام، ودراسات وسائل الإعلام في الشرق الأوسط بشكل خاص.

وبدلاً من تقديم دراسة لرموز محددة، أو نماذج من الصحافة العربية، يطرح هذا الكتاب أسئلة حول وسائل الإعلام العربية لم تسلط الدراسات الغربية الضوء عليها، أو تعيرها الكثير من الاهتمام. ومن

ثَمَّ فهو يهدف إلى طرح أجندة بحثية جديدة، ويشكل تحدياً للمفهومات التي عُدَّت بمنزلة تحصيل حاصل، مثل الهوية القومية العربية.

آمل في نهاية المطاف، أن يكون هذا الكتاب بمنزلة دليل في رحلة ملهمة عبر التعرجات الصعبة في طريق الصحافة العربية كميدان للسلطة.

obeikandl.com